مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023) ص 592-600

تسلل المناهج الغربية إلى الدراسات النقدية العربية

- مؤلفات طه حسين أنموذجاً-

Infiltration of Western methods in Arab critical studies

The writings of Taha Hussein as a model

أ.د ، ابراهيم زلافي *

جامعة محمد بوضياف-المسيلة(الجزائر)

Brahim.zelafi@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2023/02/26

تاريخ القبول: 2023/05./17

الكلمات المفتاحية:

- ✓ المناهج الغربية.
- ✓ الدراسات النقدية.
- ✓ طه حسين.
- ✓ الفكر الغربي

الملخص:

ترمي هذه المقالة إلى الوقوف عند المنافذ التي تسللت منها المناهج الغربية إلى الدراسات النقدية العربية، وهذا خلال فترة الضعف الفكري التي عاشتها الأمة العربية، خاصة إبان الغزو الاستعماري لأراضيها، والذي استطاع أن يؤثر في فكر فئة كبيرة من المفكرين العرب الذين درسوا في مدارسه، وتشبعوا بثقافته، واتخذوا من مؤلفات الأدباء الغربيين مصادر موثوقة لاقتباس المعلومة الصحيحة، وتبنوا مناهجه لدراسة الموروث العربي القديم منه والحديث، فكان أثر الفكر الغربي واضحاً في كتابات الأدباء العرب الذين تتلمذوا على يد هؤلاء المفكرين الغربيين سواء في الجامعات والمعاهد داخل الوطن العربي أو خارجه في جامعات أوربا، وكان من بين هؤلاء المفكرين العرب الكاتب والناقد المصري طه حسين الذي جاءت كتاباته متأثرة بالنموذج الفكري الغربي.

Article info

Received *26/02/2023*

Accepted *17/05/2023*

Abstract :

The present paper aims at shedding light on the outlets from which Western approaches infiltrated into Arab critical studies. This was during the period of intellectual weakness experienced by the Arab nation,

*المؤلف المرسل

especially during the colonial invasion of the Arab lands, which was able to influence the thought of a large group of Arab thinkers who studied in its schools, and familiarised themselves with the Western culture.They took the writings of Western writers as reliable sources for quoting the correct information, and they adopted their methods to study the ancient and modern Arab heritage.Thiscwas the reason why the impact of Western thought was obvious in the writings of some Arab writers who were taught by these Western thinkers, whether in universities or institutes inside the Arab world or in European universities. Among these Arab thinkers was the Egyptian writer and critic Taha Hussein, whose extremely writings were influenced by the Western intellectual model.

Keywords:
- ✓ *Western approaches,*
- ✓ *critical studies.*
- ✓ *Taha Hussein,*
- ✓ *Western thought,*

. مقدمة:

لقد كان تأثير بعض المفكرين العرب الذين تشبعوا بالثقافة الغربية أشد وطأة على العالم العربي من تأثير المستشرقين أنفسهم، فقد سعت هذه الفئة في وقت قصير إلى نشر الفكر الغربي بجهد يفوق الجهد الذي بذله الغرب خلال قرون، فما رَوَّجَ له الكتاب العرب الذين درسوا في الغرب من مقولات ومناهج حديثة، كان تأثيره مباشراً ومؤثراً على الحياة الأدبية في العالم العربي، وقد ترك هذا الفكر آثاراً واضحة المعالم في الفكر الإسلامي، ظهرت بصماتها جليَّة في مؤلفات الكتاب العرب، وفي أنشطتهم الأدبية المختلفة. وعلى الرغم من وجود بعض الإيجابيات في تطبيقات المناهج الغربية على النصوص العربية، إلا أن حجم الآثار السلبية التي ولدتها هذه المناهج في تطبيقاتها على النصوص الإسلامية كان أكثر وقعاً. فتطبيقات المناهج الغربية على النصوص العربية طبعت العملية النقدية بطابع الثقافة الغربية.

تكمن إشكالية هذا المقال في التساؤل الآتي: هل استطاع طه حسين أن يقنع معاصريه بجدوى هذه المناهج؟ وهل وجدت هذه المناهج موطأ قدم لها في الدراسات النقدية العربية الحديثة؟

يتمثل الهدف من هذا المقال في الكشف عن طرق تسلل هذه المناهج إلى الدراسات النقدية العربية، وريادة طه حسين في تطبيقها على النصوص العربية.

أما المنهجية المتبعة لعرض عناصر هذا الموضوع فتكمن في تقسيمه إلى عنصرين، أولها طه حسين والمناهج الغربية والثاني منهج طه حسين في ميزان النقاد العرب.

1-طه حسين والمناهج الغربية:

تسللت المناهج الغربية إلى الساحة الفكرية العربية من خلال مسالك عدة، أولها كان مباشراً تمثل في دعوة المستشرقين للتدريس في الجامعات العربية في الوطن العربي، وقد تولد عن هذا الاحتكاك المباشر تعرف الطلاب العرب على المناهج الغربية من أفواه المستشرقين مباشرة، وكان طه حسين في تلك الفترة طالباً يزاول دراسته في الجامعة المصرية، حيث تتلمذ على يد مجموعة من المستشرقين البارزين، الذين تركوا بصماتهم الفكرية واضحة في فكره وفي عقول مجموعة كبيرة من الطلاب المصريين الذين ارتادوا الجامعة المصرية في تلك الفترة.

كان من بين المستشرقين الذين تركوا بصماتهم واضحة في سيرة ومسيرة طه حسين: المستشرق الايطالي إجناتسيو جويدي (1844-1935م) Ignazio Guidi الذي كان من بين المستشرقين الذين أتقنوا اللغة العربية ونحوها ومعجمها إتقاناً تاماً، وقد دُعي من طرف الجامعة المصرية في عامي 1908-1909م للتدريس فيها، وكان من أبرز طلابه طه حسين الذي تأثر بجويدي وأفاد

من محاضراته واقتبس منها في كتابه "في الأدب الجاهلي"، حيث ألقى جويدي دروساً في الأدب العربي وفقه اللغات العربية الجنوبية، وكان يلقي دروسه بلغة عربية فصيحة، شأنه شأن زملائه في التدريس: نلينو، سنتلانا، ميلوني ولتمان. وكانت له عدة أبحاث منها: الأدب العربي الإسلامي، الآداب المسيحية في المشرق، لغات جنوب الجزيرة العربية[1]. وكان جويدي على علم باللغات السامية كالعبرية والسريانية، واللغات العربية البائدة، وكان له دور في تحقيق ونشر بعض المخطوطات العربية.

كما قامت الجامعة المصرية القديمة في نهاية عشرينيات وبداية ثلاثينيات القرن العشرين، بدعوة المستشرق الألماني إنو ليتمان (1875-1958م) Enno Litman للتدريس فيها، حيث شغل منصب أستاذ زائر في اللغات السامية، وكان طه حسين من بين الطلاب الذين حضروا دروس ليتمان، كما عُين هذا الأخير عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1932م. وانصب اهتمامه على الأدب الشعبي، وفك رموز النقوش[2]. وكانت له أعمال كثيرة منها ترجمة كتاب "ألف ليلة وليلة" إلى اللغة الألمانية، كما كانت له بحوث في اللغة الحبشية القديمة.

وكان المستشرق الإيطالي كارلو ألفونسو نَلِّينُو (1872-1938م)Carlo Alfonso *Nallino* من الأساتذة الذين تمت دعوتهم من طرف الجامعة المصرية القديمة إلى تدريس فيها، حيث قدم فيها محاضرات في تاريخ الفلك عند العرب، وتاريخ الأدب العربي، وكان من طلبته في تلك الفترة طه حسين الذي أُعجِب وتأثر بمنهجية نلينو في دراسة الأدب العربي، وقد شغل نلينو منصب عضو في المجمع اللغوي للغة العربية عام 1932م[3].وللإشارة فإن نلينو تعلم اللغة العربية دون معلم، فقد دفعه فضوله وحرصه أن يعرف العربية ويفهم أصولها ونحوها وكان ولعه بها كبيراً.

أما المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (1883-1962) Louis Massignon فقد كان هو الآخر من بين الأساتذة الذين قدموا دروساً في الجامعة المصرية القديمة، حيث ألقى أربعين محاضرة باللغة العربية عنوانها "تاريخ الاصطلاحات الفلسفية"، وكان من بين طلابه طه حسين، ونظراً لإتقانه اللغة العربية اتقاناً تاماً عُين عضواً بالمجمع اللغوي للغة العربية عام 1933، وكانت له نشاطات أخرى من بينها رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي عام 1919، وكان شغله الأكبر هو عنايته بالتصوف عامة وبالحلاج خاصة[4]. ولقد عرف طه حسين على يد المستشرقين ألواناً من المعرفة وفنوناً من النقد لم يسمع بها من قبل، غيرت رأيه في الأدب ومذهبه في النقد[5]. وقد تلونت كتاباته بهذه المعارف الجديدة التي لم يعرفها النقد العربي من قبل.

واستقطبت طرائق المستشرقين في التدريس أنظار الطلاب العرب، وكان طه حسين من جملة الطلاب المصريين الذين ارتادوا الجامعة المصرية القديمة، واستمعوا إلى محاضرات المستشرقين وطرقهم في التدريس، فأدرك طه حسين ومن معه الفرق الشاسع بين مناهج المستشرقين وبين مناهج التدريس القديمة في المدارس الحكومية المصرية وفي جامع الأزهر، فدعا إلى إصلاح المناهج وإعداد المعلمين والاستفادة من الحياة العلمية الأوربية والأدب الأوربي، حتى يستمد الأدب العربي منها القوة والقدرة على البقاء والنفع والإنتاج[6]. وقد استدرجت هذه المناهج الغربية أجيالاً من الباحثين العرب، وبهرت أفكار المثقفين والمتعلمين من الكتَّاب والمفكرين، الذين أخذوا بالمضمون الفكري والإيديولوجي لهذه المناهج في دراساتهم للتراث العربي الإسلامي[7]، والمعروف أن التراث العربي نشأ في بيئة تختلف كل الاختلاف عن البيئة الغربية التي ظهرت فيها هذه المناهج.

ويتمثل العامل الثاني لانتقال الآداب الغربية ومناهجها إلى الوطن العربي في البعثات الطلابية التي أوفدتها البلدان العربية إلى أوربا، إذ كانت أوربا في تلك الفترة تعيش عصر نهضتها، تلك النهضة التي انبعثت من إيطاليا وانتشرت في أوربا، وأحدثت تغيرات عميقة في شتى مناحي الحياة، خاصة منها الفكرية والدينية، ومن هنا ولد عصر فكر جديد في أوربا لم تألف مثله من قبل. فعرفت أوربا منهج الاستقراء على يد الفيلسوف والأديب الانكليزي فرانسيس بيكون Francis Bacon (1561-1626م) الذي يعد مؤسس النزعة التجريبية الحديثة في العلم والفلسفة، فقد دعا هذا الفيلسوف إلى استخدام التجربة كأساس للعلم والمعرفة.

وكان من ضمن مؤلفاته كتابه "نوفوم أرجانوم" novom organum الذي عارض فيه منطق أرسطو ومنهجه في القياس[8]. فكانت أفكار بيكون قوة محركة نقلت أوربا من عصر التفكير الفلسفي الإغريقي إلى عصر التفكير العلمي التجريبي.

فكانت بعثة الطلاب المصريين إلى فرنسا لإنهاء دراستهم، فرصة استغلها المستشرقون للتمكين للثقافة الفرنسية في مصر، وذلك بعد شعورهم بتقهقر نفوذهم الثقافي أمام النفوذ الثقافي الإنكليزي. وقد احتضنت المعاهد الفرنسية هذه البعثات الطلابية وأولتها كامل الرعاية والاهتمام، ويصف طه حسين اهتمام أساتذته به وعلاقته المتينة بهم والتي ربطته مع أستاذه بول كازانوفا بقوله: «عرفته أستاذاً في الكوليج دي فرانس، ولم أكد أسمع له حتى أُعجبت به إعجاباً لم أعرف له حداً، كان يفسر القرآن وكنت حديث العهد بباريس، كنت شديد الإعجاب بطائفة من المستشرقين»[9]. وكان بول كازانوفا (1861-1926م) Paul Casanova من المستشرقين الذين تفقهوا في اللغة العربية وعلوم القرآن، ووجهوا عنايتهم إلى مصر الإسلامية بعد ما انتدبته الجامعة المصرية كأستاذ لفقه اللغة العربية. ولم يقتصر ولع طه حسين بأستاذه كازانوفا فقط وإنما كان متأثراً بعدد من المستشرقين أمثال: المستشرق الألماني إنو ليتمان (1875-1958م) Enno Litman والمستشرق الإيطالي كارلو ألفونسو نِلّينُو (1872-1938م)Carlo Alfonso Nallino وقد عبر عن تأثره بهم في عبارته: « ما أعرف أن أحداً أثر في الحياة العقلية للشباب المصري في ذلك الوقت مثل الأستاذ ليتمان والأستاذ نلينو»[10].

ففي جامعة مونتبلييه Montpellier وجامعة السوربون Sorbonne وهما من أعرق الجامعات في فرنسا، تابع طه حسين دروسه في التاريخ اليوناني، وتاريخ الرومان، والتاريخ الحديث، والثورة الفرنسية، وفلسفة ديكارت وعلم الاجتماع، والأدب الفرنسي. أما في كوليج دو فرانس Collège de France فقد تعرف على دروس القرآن وعلم النفس[11]. وقد تكللت رحلة طه حسين إلى فرنسا بحصوله على شهادة ليسانس ثم شهادة الدكتوراه.

لقد كان طه حسين من بين المفكرين العرب الذين تبنوا المنهج الفلسفي للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596-1650م) René Descartes في دراساتهم للأدب العربي، حيث جاء في قوله: «أريد أن أصنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" ... وأنه هو الطابع الذي يمتاز به هذا العصر... فلنصنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء»[12]. وكان Descartes كما وصفه الفيلسوف الألماني جورج فيلهلم فريدريش هيجل (1770-1831م) George Wilhelm Friedrich Hegelبمثابته القوة المحركة للفكر الفلسفي الحديث في أوربا، حيث جاء في قوله: «المحرك الأول الحقيقي للفلسفة الحديثة من حيث اتخاذها الفكر مبدأ أساسياً... وإن أثر هذا الرجل في عصره وفي العصور الحديثة، مهما قيل في شأنه، لا يمكن أن يكون مغالى فيه، إنه بطل، وقد تناول الأشياء من مبادئها»[13].

لقد وضع Descartes أسساً لمنهجه "الاستنباط العقلي" وقد ورد ذلك في كتابه "المقال عن المنهج"، وجعل هذا المنهج مؤلفاً من أربع قواعد تهدف إلى كشف الحقيقة في أي علم من العلوم، وتتمثل هذه القواعد في النصوص التالية:

-**قاعدة اليقين**: والتي نصها أن لا أقبل شيئاً ما على أنه حق، ما لم أعرف يقيناً أنه كذلك.

-**قاعدة التحليل**: ينبغي تقسيم المشكلة التي تدرس إلى أجزاء بسيطة على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه.

-**قاعدة التأليف أو التركيب**: يعبر عنها بقوله: «أن أسير أفكاري بنظام، بادئاً بأبسط الأمور وأسهلها معرفة، كي أتدرج قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيباً، بل وأن أفرض ترتيباً بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع».

-**قاعدة الاستقراء التام أو الإحصاء**: يقول عنها: «أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أني لم أغفل شيئاً»[14].

فكان منهج "ديكارت" منهجاً جديداً حرر الفكر الإنساني في أوربا من قيود الفكر القديم التي طوقت العقل الأوربي، فظهر تأثيره في كل وجه من أوجه الحياة المعاصرة له،وما بعدها من العصور، فكان ذلك العصر عصراً ذهبياً للفلسفة الحديثة التي

أسست لقاعدة متينة شُيدت عليها العلوم بشتى أنواعها، ولم يكن الأدب بمعزل عن هذا التأثير، حيث طالته موجة التغيير ومسايرة عصر ازدهار المناهج التي ما زال تأثيرها قائماً إلى يومنا هذا. كما كان للفيلسوف الفرنسي **إبوليت أدولف تين** (1828-1893) Hippolyte Adolphe Taine وهو من كبار المؤرخين والنقاد في عصره، الدور البارز في تطويع مناهج التاريخ الطبيعي وتطبيقها على الأدب، وحجته في ذلك هي أن تأثير عوامل (الجنس والمكان والزمان) على الكائن الحي، هي نفسها التي تؤثر في الأدب، فتعطيه صفات وخصائص معينة[15]، مثلما تعطيها للكائن الحي.

ولما عاد طه حسين إلى مصر عام 1919م، اشتغل بتدريس التاريخ القديم، وبعدها عُيِنَ أستاذاً لتاريخ الأدب العربي. جمع طه حسين محاضراته التي كان يلقيها على طلبته في كتاب عنوانه " في الشعر الجاهلي" صدر سنة 1926م، وأثار صدور هذا الكتاب ضجة عنيفة، ولم تمض سنة واحدة على صدوره حتى تراجع طه حسين عن بعض أقواله، وحذف منه بعض الفقرات وأعاد نشره تحت عنوان "في الأدب الجاهلي" وذلك عام 1927م[16].وذلك تحت وطأة تأثير الانتقادات الكثيرة التي تناولت مضمون ما جاء في هذا الكتاب.

وقد أقام طه حسين أبحاثه كلها على المناهج الغربية، وقد ظهر ذلك واضحاً في مؤلفاته منها كتابه "تجديد ذكرى أبي العلاء المعري"، الذي سلك فيه منهج Taine وهو منهج يجعل من الإنسان ضحية للبيئة والمجتمع وينفي عنه المسؤولية[17]. حيث صرح طه حسين في كثير من صفحات كتابه بعبارات تنم عن هذا التأثير، حيث جاء في قوله: «فأبو العلاء ثمرة من ثمرات عصره، قد عمل في إنضاجها الزمان والمكان، والحال السياسية والاجتماعية، بل والحال الاقتصادية»[18]. ولقد بحث طه حسين في المؤثرات التي أحاطت بأبي العلاء المعري والتي أثرت في شعره، وعبر عن ذلك بقوله: «أن الرجل خاضع في أدبه وعلمه لزمانه ومكانه، فليس لنا بد من أن نقدم بين يدي هذا الكتاب فصلاً في عصر أبي العلاء وآخر في بلده»[19].

لم يكن طه حسين يتوقع هبوب تلك العاصفة، عاصفة الأقلام التي مزقت أوراق كتاباته سواء في كتابه "في الشعر الجاهلي" أو "تجديد ذكرى أبي العلاء المعري"، ورسمت خطوطاً حمراء لبعض القضايا التي ما كان لطه حسين أن يثيرها أو يبحث فيها، ولكنه تعمد ذلك في قوله: «لقد اقتنعت بنتائج هذا البحث اقتناعا ما أعرف أني شعرتُ بمثله في تلك المواقف التي وقفتها من تاريخ الأدب العربي، وهذا الاقتناع القوي هو الذي يحملني على تقييد هذا البحث ونشره في هذه الفصول، غير حافل بسخط الساخط، ولا مكترث بازورار المزور...»[20]. وبهذا التصريح أعلن طه حسين الحرب على المناهج القديمة التي دُرِس بها الأدب العربي، هذه المناهج الجامدة التي لا يُرجى منها أي تغيير، وبالمقابل أعلن شغفه بالمناهج الغربية التي مثلها بالضوء الذي يبعث على القوة والحركة والحياة.

انتهج طه حسين في كتاباته طُرق ومناهج المستشرقين في دراساتهم لتاريخ الأدب العربي، فتناول مثلاً في كتابه "في الشعر الجاهلي" أو "في الأدب الجاهلي" عدة قضايا تتمحور حول الشعر والنثر في الجاهلية، وأسباب انتحال الشعر. وكذلك في مؤلفه " تجديد ذكرى أبي العلاء المعري" وقد مهد لمنهجه الجديد في دراسة الأدب العربي بمقدمات طويلة ذم فيها كل ما هو قديم ومدح كل ما هو حديث، وحمل فيها على مدرسيه القدماء من المصريين وغيرهم ممن سبقهم، وعبر عن إعجابه بالمستشرقين ومناهجهم في دراسة وتدريس الأدب العربي. ويعتبر طه حسين عند فئة كبيرة من المثقفين العرب محرك عجلة التنوير في الثقافة العربية، هذه الحركة التي ظهرت في أوربا وعرف زمانها بعصر التنوير، وذلك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد قام منهج طه حسين على الشك في كل ما هو يقين، وفي كل ما أثبت الحكماء العرب صحته منذ قرون، حيث عبَّر عن ذلك صراحة بقوله: «هو أني شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححتُ في الشك... حتى انتهى بي هذا كله إلى شيء إلا يكون يقيناً، فهو قريب من اليقين. ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء»[21]. وقد شكك طه

حسين في مصداقية منهج القدماء في تمحيصهم للشعر الجاهلي، ورد فساد منهجهم إلى تعصبهم للعروبة والإسلام، "فأخضعوا كل شيء إلى هذا الإسلام وحبهم إياه... فما لاءم مذهبهم هذا أخذوه، وما نافره انصرفوا عنه انصرافاً"[22].

وعلى درب أساتذته الغربيين الذين صرحوا بانتهاجهم الموضوعية والحياد في دراساتهم للقرآن الكريم أو الموروث العربي، فقد تبنى طه حسين مقولاتهم بأنه سيتحلى بالحياد في دراسته للشعر الجاهلي، وفي هذاسيتجرد من كل قيد يحُد من حركته العقلية، وهو يقصد بذلك الدين والقومية وما يتصل بهما من قيود في نظره، فهو ينزع القدسية عما هو مقدس، فيساوي بين القرآن الكريم والنصوص البشرية، فيقول القرآن ولا يقول القرآن الكريم، ويذكر النبي ولا يصلي أو يسلم عليه، ويذكر الصحابة ولا يقول رضي الله عنهم، فالكل عنده سواء.

يُنكر طه حسين كل ما توصل إليه القدماء من نتائج تؤكد الصلة بين الشعر الجاهلي وحياة العرب في الجاهلية، ويشكك في نسبة المعلقات إلى أصحابها، فهو لا يثق بما ينسب إليهم[23]، ويدعو إلى البحث عن حياة الجاهلية العربية في القرآن لا فيما يسمونه بالشعر الجاهلي، فهذا الأخير لا يعبر عن ديانات العرب ولا عن لغتهم ولا عن لهجاتهم. ثم يعود طه حسين ليذكر القارئ بأهمية منهج ديكارت، وضرورة انتهاجه في دراسة تاريخ الأدب العربي كما اصطنعه أهل الغرب في نقد آدابهم وتاريخهم[24].

ويشكك طه حسين في صحة الشعر الجاهلي الذي جمعه العلماء العرب واتفقوا على صحته بعد تمحيصه، ويرى أنه شعر وضع في العصور الإسلامية خدمة للدين والسياسية وأمور أخرى، حملت الناس على التكلف والانتحال.

والثابت في كتب التراث أن مسألة الشك في صحة الشعر الجاهلي قد أثارها القدماء العرب أثناء جمعهم وتدوينهم للشعر العربي القديم، وتعاملوا معها ووقفوا على حقيقتها، وكان محمد بن سلام الجمحي(139-231هـ) أول من نبه وبحث في أسباب هذه الظاهرة ودونها في كتابه "طبقات فحول الشعراء" والتي يرى أن سبب ظهورها يعود إلى بعض القبائل التي أضافت إلى شعرها قصد الرفع من مناقبها، وإلى بعض الرواة الذين وضعوا بعض الأشعار[25]. كما أن مسألة الشك في صحة الشعر الجاهلي قد تناولها المستشرقون قبل أن يتناولها طه حسين، ففي سنة 1920م طعن المستشرق الإنكليزي مرجوليوث (1858-1940) *Margoliouth* في صحة الشعر الجاهلي وزعم أنه غير موجود، وإنما هو شعر إسلامي نظمه شعراء مسلمون[26]. ودأب المستشرقون على الطعن في الشعر الجاهلي ولم يعترفوا بوجوده.

2-منهج طه حسين في ميزان النقاد العرب:

اختلفت آراء النقاد العرب حول صلاحية المنهج الذي طبقه طه حسين في دراسته للشعر الجاهلي، فجردوا أقلامهم وتناولوا أقواله بالنقد والنقض، فاعتدل بعضهم في نقده والتزم بالكتاب فقط، بينما غلا البعض الآخر فتجاوز نقده الكتاب وامتد إلى الكاتب، فنُشِر هذا السجال العنيف في الصحف والمجلات وصنفت فيه المؤلفات. ومن بين النقاد الذين تناولوا كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" محمد فريد وجدي، حيث وصف كلام طه حسين عن المنهج بالكلام الثمين لو أنه لم يتقيد بآراء يعدها مقدسة أكثر من القرآن الكريم، ويعيب فريد وجدي على طه حسين دعوته أن ينسى المسلم دينه أثناء البحث عن الحقيقة، بينما الدين الإسلامي يمنح الحرية في البحث، يمنع الوقوع الوقوع في الباطل. ويختم حديثه بقوله: «أننا نعد منهج طه حسين في البحث من أكمل المناهج، بل هو المنهج الوحيد الذي ينطبق على أصول الفلسفة العصرية المنتجة إلا ما ارتكبه من غَمْطِ حقّ الإسلام في هذا الوطن»[27].

كمافنَّد محمد الخضر حسين المزاعم التي وردت في كتاب "في الشعر الجاهلي"، حيث يرى أن طه حسين تبنى نظرية مرجوليوت وزاد عليها بالإلحاح بالشك في وجود الشعر الجاهلي، ويرى محمد الخضر أن صاحب الكتاب تحيَّز لمنهج ديكارت واستخرج منه نتائج على هوى ذوقه، وبنى عليه مذاهبَ بعيدة عنه... فالواجب أن لا ينخدع القارئ بما وعد به المؤلف من أنه سيصطنع هذا

المنهج الفلسفي... وإذا كان منهج ديكارت لا يُسلم بشيء إلا بعد أن يفحصه العقل فإن علماء الشرق كانوا الأسبق إلى استعمال عقولهم في المباحث النظرية[28] .

أما حسين مروة فيرى أن منهج طه حسين في دراسته للشعر الجاهلي جاء مناقضاً لمنهج السلف، فشكل هذا المنهج أعظم صراحة وجرأة وأكثر تقدماً عند ظهوره أول مرة سنة 1926 من خلال كتاب "في الشعر الجاهلي". لكن حسن مروة يُعيب على طه حسين اعتماده الكلي على الشك المبالغ فيه أكثر من اللازم، هذا الشك الذي أوصله إلى نتيجة مفادها أن الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي ليست من الجاهلية في شيء. وخلُص حسن مروة في رأيه إلى أن طه حسين أخذ بالجانب الشكلي المحض من مذهب الشك عند ديكارت، وغفل عن مضمونه الفلسفي والمعرفي[29].

وفي تقييمه لمنهج طه حسين في دراسته للشعر الجاهلي تناول مصطفى جمعة هذه القضية بموضوعية وحياد، وحاول أن يكون عادلاً في حُكمه على الرجل ومنهجه، فهو يرى أنه من العدل النظر في طرائق النقد الفرنسية، ومن بينها منهج ديكارت، وهل سار مؤلف كتاب "في الشعر الجاهلي" على منهج ديكارت والتزم حقاً بمباحثه وقواعد؟ والإجابة عن هذا السؤال اقتضت من طارحه تتبع تاريخ النقد الفرنسي على مدار ثلاثة قرون منذ بدايته في القرن السادس عشر الميلادي، قدم فيها محمد لطفي جمعة لمحة وجيزة عن أئمة النقد الفرنسي ومذاهبهم، وانتهى به تقييمه إلى أن طه حسين لم يتخذ من مذاهب النقد الفرنسي مذهباً على الرغم من تعددها واتساع نطاقها. وأن طه حسين اختار منهج ديكارت لظنه أن ديكارت كان من المشككين، غير أن هذا الأخير كان فيلسوفاً رياضياً، وكانت فلسفته مبنية على عبارة يقينية، وهي "أنا أفكر فإذن أنا موجود" ولم يكن ناقداً، وأن الشك المطلق الذي يمجده طه حسين ويتلذذ به، وبما يورثه من اضطراب وقلق، لايمكن أن يكون وسيلة دائمة لتفكير الحكيم[30].

وذهب محمد أحمد الغمراوي إلى أن طه حسين لم يكن علمياً في طريقته لتطبيق ما سماه منهج ديكارت على الأدب العربي وتاريخه، فإن كان هذا المنهج قد طبق في بحث علم أو فن ما فهذا لا يعني أنه صالح للبحث في علم أو فن آخر[31]. أو بعبارة أخرى أن هذا المنهج لا يصلح بتاتاً لدراسة الشعر الجاهلي. أما أنور الجندي فيرى أن منهج طه حسين لدراسة الأدب العربي،ما هو إلا خليط متباين من آراء دوركايم وسانت بيف وبلاشير، استثمرها طه حسين ليحط من أصالة الأدب العربي ويُعلي من شأن الآداب الغربية ومذاهبها، وقد سلك طه حسين أسلوب الشك والسخرية والتهكم ولم يعتمد على سند علمي صحيح[32].وهو نفس المنهج الذي سلكه المستشرقون في دراساتهم للتراث العربي والإسلامي.

أما الأصوات التي آمنت بدعوة التغيير التي دعا إليها طه حسين، وعلى رأسها محمد زكي العشماوي، والتي رأت في هذه الدعوة خطوة نحو التقدم الفكري من خلال الاطلاع على المعرفة الفكرية العالمية، فمن أهم النتائج التي ترتبت عن هذه الدعوة الداعية إلى حرية الفكر والمعرفة حسب محمد زكي العشماوي هي المنهج العام الذي نادى به طه حسين وأرسى به دعائم البحث في الدراسة الجامعية الحديثة، والذي كان صيحة مدوية ذات تأثير، ونتيجة طبيعية لثورته الفكرية، فمن الصعب تصور فكر جديد بغير منهج جديد[33]. ويضيف أنصار منهج طه حسين أنه لم يكن هدف الناقد هدم الشعر الجاهلي أو قتله، وإنما كان هدفه إنقاذ هذا الشعر والتحقق مما فيه من صدق، وهو لم يقصد إلى إحداث خلخلة في نظام الأشياء بقدر ما قصد إلى تنبيه الجهاز العصبي للدارسين والباحثين وإخراجهم من تحت رماد التخلف وخرابه[34].

لم يكن الصراع القائم بين المعارضين والدعاة حول طبيعة المنهج الذي تبناه طه حسين، بقدر ما كان هذا الصراع حول طريقة تطبيقه لهذا المنهج، فمعظم المعارضين رأوا بأن طه حسين لم يُلم بحيثيات هذا المنهج، ولم يُحسن تطبيقه في دراسته للشعر الجاهلي. وبعد هذا الصراع بعقود وجدت هذه المناهج الوافدة طريقها نحو النقد العربي، وتبناها النقاد في دراساتهم

للنصوص العربية القديمة منها والحديثة. وأصبحت اليوم هذه المناهج بشقيها السياقي والنسقي ضرورة حتمية لا يمكن الاستغناء عنها في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة.

الخاتمة:

في خاتمة هذا المقال أشير إلى أهم النتائج التي تم التوصل إليها والمتمثلة في بعض الآثار التي نجمت عن تأثير مناهج الفكر الغربي في العقلية العربية منها:

-آثار سلبية تمثلت في عدوى الطعن في كل ما هو عربي أو إسلامي، هذه العدوى التي انتقلت من الفكر الغربي إلى فكر مجموعة من الأدباء العرب، كالتشكيك في صحة الشعر الجاهلي، والطعن في تفسير القرآن بالشعر الجاهلي. ووصف مناهج القدماء العرب بالقصور، واتهامهم بعدم النزاهة.

-آثار إيجابية تمثلت في:

1- استيقاظ الفكر العربي الذي أصابه الوهن والسكون لعقود من الزمن.

2-ظهور حركة نقدية عربية حديثة نتيجة الصراع بين المتمسكين بالتراث والدعاة إل التجديد.

3- بعث التراث العربي القديم من جديد.

3-تبني المناهج النقدية الغربية ومحاولات تطويعها لمسايرة النصوص العربية.

4- التأليف حول ماهية هذه المناهج وطرق تطبيقها.

قائمة المصادروالمراجع:

1- أنور الجندي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار الاعتصام، مصر، ط2، 1977.

2- أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، مصر، 1984.

3- حسين جمعة، طه حسين القامة والظل، دار ابن هانئ، دمشق، ط1، 1993.

4- حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، المجلد الأول، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2002.

5- حمدي السكوت ومارسدن جونس، أعلام الأدب المعاصر في مصر، ج1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1982.

6- رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود محمد الخضيري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2، 1968.

7-ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دت،.

8- طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، مطبعة المعارف، مصر، ط3، 1937.

9- طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1933.

10- طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1926.

11- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993.

12- كامل محمد محمد عويضة، فرنسيس بيكون فيلسوف المنهج التجريبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.

13- محمد أحمد الغمراوي، النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1929.

14- محمد الخضر حسين، نقض كتاب "في الشعر الجاهلي" المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د.ت).

15- محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

16- محمد فريد وجدي، نقد كتاب الشعر الجاهلي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.

17- محمد لطفي جمعه، الشهاب الراصد، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ط1، 1926.

18- مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986.

19- يوسف خليف، مناهج البحث العلمي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

الهوامش:

[1] - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993، ص ص 212-216.

[2] - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993، ص ص 512-513.

[3] - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص 583-587.

[4] - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ص529-534.

[5] - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، مطبعة المعارف، مصر، ط3، 1937، ص7.

[6] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1933، ص11.

[7] - حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، المجلد الأول، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2002، ص141.

[8] - كامل محمد محمد عويضة، فرنسيس بيكون فيلسوف المنهج التجريبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص58.

[9] - أنور الجندي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار الاعتصام، مصر، ط2، 1977، ص36.

[10] - أنور الجندي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، دار الاعتصام، مصر، ط2، 1977، ص37.

[11] - حسين جمعة، طه حسين القامة والظل، دار ابن هانئ، دمشق، ط1، 1993، ص95.

[12] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1933، ص ص65-66.

[13] - مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986، ص73.

[14] - رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود محمد الخضيري، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2، 1968، ص ص95-98.

[15] - يوسف خليف، مناهج البحث العلمي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص36.

[16] - حمدي السكوت ومارسدن جونس، أعلام الأدب المعاصر في مصر، ج1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1982، ص15-20.

[17] - أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، مصر، 1984، ص 39.

[18] - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، مطبعة المعارف، مصر، ط3، 1937، ص17.

[19] - طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، مطبعة المعارف، مصر، ط3، 1937، ص22.

[20] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط3، 1933، ص58.

[21] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص19.

[22] - طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، 1926، ص24.

[23] - طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص27.

[24] - طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص57.

[25] -ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دت، ص46.

[26] - ينظر: حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ص310.

[27] - محمد فريد وجدي، نقد كتاب الشعر الجاهلي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص ص24-27.

[28] - محمد الخضر حسين، نقض كتاب "في الشعر الجاهلي" المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د.ت)، ص ص 25-26.

[29] - حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ص ص315-318.

[30] - محمد لطفي جمعه، الشهاب الراصد، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ط1، 1926، ص ص 35-36.

[31] - محمد أحمد الغمراوي، النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1929، ص ص 119-120.

[32] - أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، مصر، 1984، ص ص 31-32.

[33] - محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص410.

[34] - محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص414.